# وجه على الحائط

للكاتب الانجليزى : ا. ف لوكاس
ترجمة : د. احمس فيليب

أ . ف . لوكاس كاتب انجليزى معاصر متسع الافق ومجدد يمتاز بانه كتب فى مئات من الموضوعات والأفكار المختلفة وأجاد فيها جميعا . كتب كثيرا من الروايات والقصص القصيرة ، وهو فى هذه القصص يميل الى الخلق والابتكار كما يميل فى بعضها الى الرومانتيسية المتطرفة وهى مانطلق عليها فى هذه الايام عبارة « أدب اللامعقول » . كما كتب فى أدب الرحلات كتبا عن باريس وفلورنسا وروما والبندقية ولندن . وقد نالت فصوله الممتعة من واقع حياة الناس التى نشرها فى مجلة بنش الانجليزية اعجاب القارىء الانجليزى ، ذلك لأنه فى هذه الفصول يتناول تصرفات الناس ومشكلاتهم من وجهة نظره الشخصية الخاصة التى يعبر عنها بأسلوب مشوق مثير ، وهو فى جميع الموضوعات التى كتب فيها أديب خصب لا ينضب خياله ولا يجف قلمه .

وقصته هذه « وجه على الحائط » محاولة ناجحة فى ميدان الادب اللامعقول .

( المترجم )

ما زلت أشعر بالمهانة من جراء ( دابنى » ، غير أن هذا الاحساس لا يعذبنى وحدى ، ولعل فى هذا بعض عزائى . كنا حينذاك نتحدث عن الحوادث الخارقة للطبيعة ـ ذلك الموضوع الذى يشد اهتمام الناس على الرغم من عدم جدوى الحديث فيه ـ وقد قص معظمنا بعض الحوادث التى لم تترك فى نفوسنا نحن السامعين أثرا كبيرا . وكان بين الحاضرين الذين لا أعرفهم رجل تبدو على وجهه الابيض سمات القلق وكان

قد جاء فى صحبة ردش وايت ، وكان هذا الرجل يصغى الى كل متحدث تمام الاصغاء دون أن يعلق بشىء . غير أن دابنى أراد أن يشركه فى الحديث فالتفت اليه وسأله عما اذا كان يستطيع أن يقص علينا شيئا من خبراته أو قصة تضم عنصرا لايمكن تفسيره .

وأطرق الرجل الغريب لحظة ثم قال « حسنا ... ان ما سأحكيه لكم ليس قصة بمعناها الصحيح ، ولكنه شىء يختلف عن معظم ما استمعت اليه منكم ... اننى أعتقد أن الحقيقة ليست اغرب من الخيال فحسب ولكنها أيضا أكثر منه اثارة للاهتمام . اننى أستطيع أن أروى لكم حادثا حدث لى شخصيا ومن الغريب حقا ان خاتمته لم تتم الا بعد ظهر اليوم » .

رجوناه أن يبدأ فقال :

« منذ عام أو عامين كنت أقطن فى شارع أرموند الكبير بيتا قديما ناحية هلبورن ، وكانت جدران غرفة نومى قد أعاد طلاءها ساكن سابق ، غير أن رطوبة المكان أدت الى افساد الطلاء وظهور بعض « البقع » ، وكانت واحدة من هذه البقع ـ كما يحدث فى كثير من الاحيان ـ تشبه وجه انسان شبها تاما، غير أن هذا الشبه كان أكثر رقة واثارة للدهشة مما ألفناه . كنت أتطلع الى هذا الوجه حين أستلقى فى فراشى فى الصباح ، وحين أهم بخلع ملابسى وحين أنهض من الفراش ... كنت أتطلع اليه فى كل حين ، حتى أخذت شيئا فشيئا أتصوره حقيقة واقعة ـ زميلى فى المسكن . والغريب فى الامر انه بينما البقع الاخرى كانت تتسع وتتغير أشكالها الا أن هذه البقعة بذاتها لم يصبها شىء من هذا التغير ، فقد بقيت على حالها تماما .

وأصابتنى فى ذلك الوقت أنفلونزا حادة صحبتها بعض المضاعفات ، فكنت أقضى النهار كله بين القراءة والتأمل وفى تلك الأثناء أخذ هذا الوجه يملك على كل اهتمامى ، وأخذ احساسى بواقعيته يزداد أكثر فأكثر ... بل أستطيع أن أؤكد أنه سيطر على فكرى ليلا ونهارا ، كان الانف غير مألوف أما انحدار الجبهة فكان فريدا فى نوعه ... كان الوجه فى الواقع يختلف عن غيره من الوجوه. وجه رجل يختلف عن بقية الرجال .. واحد فى كل ألف !

ثم تماثلت للشفاء ، غير ان الوجه الذى على الحائط كان لايزال يسيطر على ، فاذا بى أجوب الشوارع باحثا عن شبيه به ، فقد كنت مقتنعا بأن صاحب هذا الوجه لا بد أن يكون حيا يرزق ، ومن ثم فلابد لى من العثور عليه ... ولم أدر لذلك سببا ولكنى عرفت شيئا واحدا : ان القدر قد ربط بينى وبين صاحب هذا الوجه . ترددت على الاماكن التى يرتادها عدد كبير من الرجال كالاجتماعات السياسية ، ومباريات كرة القدم ، ومحطات السكة الحديد عندما تصب قطارات الضواحى آلاف الركاب على العاصمة فى الصباح وتستقبلهم مرة ثانية فى المساء . غير أن هذه المحاولات جميعها ذهبت ادراج الرياح ... وقد أدركت لاول مرة كم ان وجوه

الرجال قليلة على كثرتها ... فبينما هذه الوجوه تختلف فيما بينها الا أنها ـ اذا ماصنفت ـ لما زاد عـــدد أصنافها عن أصابع يديك .

أصـبح البحث عن صاحب الوجـه لوثة ، فقد اهملت كل شيء عداه ... كنت أقف عند « نواصى » الطرق أتطلع الى وجوه الناس عند الزحام حتى حسبنى النـــاس مجنونا وبدأ رجال الشرطـة يعرفوننى ويرتابون فى أمرى ، لم أكن أحملق فى النســـاء ... كان الرجال والرجال فقط .. هدفى ومثار اهتمامى .

مر الرجل بيده على جبهته كمن يحس بالانهاك ثم واصل قصته .. « ثم ... وجـدته أخيرا ... كان فى « سـيارة أجرة يتجه نحو الشرق مارا ببكاديلى ، وعندئذ اسـتدرت وجريت الى جـواره مسافة قصيرة ، ثم لمحت سيارة ليس بها أحد فقفزت الى داخلهـا وأنا أقول لاهثا ( اتبع تلك السيارة ) ... وقد عمل السائق على أن يجعلها على مرأى منا حتى وصلنا الى محطة تشارنج كروس ، وعندئذ اندفعت نحو رصيف القطـــار وهناك رأيت الرجل فى صحبته سيدتين وفتاة صغيرة . كانوا سيسافرون الى فرنسا فى قطـار الثانية والثلث ... اخذت أتحين فرصة أستطيع أن أتحدث فيها اليه ، ولكن بغير جدوى ، فقد انضم اليهم أصدقاء آخرون ثم اتجهوا الى القطار كتلة واحدة .

اشتريت تذكرة الى فولكستون على أمل أن ألحق به على ظهر السفينة قبل اقلاعهـا ، غير أننـــا حين وصلنا الى فولكســتون ســبقنى مع أصدقائه الى السفينة حيث اختفوا فى صالون خاص يتوسط عددا من القمرات ، مما جعلنى أتحقق من أنه رجل ثرى . وهكذا فشلت مرة ثانية ، غير أننى قررت أن أسافر أيضا ، فقد كنت واثقا من أنه سـوف يترك السـيدتين بعد أن تبـدأ الرحلة ويخرج للنزهة بعض الوقت على ظهر السفينة . لم أكن أملك الا أجرة السفر ذهابا الى بولونيا ، الا أن شيئا لم يكن ليستطيع أن يثنينى عن عزمى .. وهكذا وقفت أنتظر فى مواجهة باب الصالون . وبعد نصف ساعة فتح باب الصـالون ورأيته يخرج ، غير أن الفتاة الصـغيرة كانت فى صحبته ... أخذ قلبى يدق فى شـدة حتى بدا لى أن نبضـاته تهز السفينة أكثر من محركها ... لم يكن هناك أى احتمال للخطأ .. كان الشبه تاما . ألقى الرجل على نظرة سريعة ثم أخذ يصعد السلم الى السطح العلوى .. وحينئذ شـعرت بأن فرصتى قد حانت قلت متلعثما ( معـــذرة ، أتسمح لى ببطاقتك .. هناك سبب قوى يحملنى على أن أتصل بك ) .

بدت عليه الدهشة ـ ولا عجب فى هذا ـ غير أنه أجابنى الى طلبى ، وأخرج محفظته فى تفكير عميق وناولنى بطاقته ثم أسرع مبتعدا ومعه الفتاة الصغيرة .

من الواضح أنه حسبنى معتوها ورأى أنه من الحكمة ارضائى .

وما أن تناولت البطاقة حتى أسرعت الى ركن خال من أركان السفينة لاقرأها ... أظلمت عيناى ، دار رأسى ، فقد

قرأت بالبطاقة الكلمات الآتية : مستر أرموند وول ثم عنوانه فى بتسبرج بالولايات المتحدة ..

ثم لا أذكر ماذا حدث لى حتى وجدت نفسى فى احدى مستشفيات بولونيا حيث رقدت فيه فى حالة سيئة بضعة أسابيع ولم أعد الا منذ شهر واحد » .

ثم سكت الراوى .. فأخذنا نحدق فيه ثم ننظر الى بعضنا البعض وننتظر أن يكمل القصة ... فقد كان حديث تلك الامسية كله لا يقارن بقصة هذا الرجل الضئيل الشاحب .

وبعد لحظة استأنف قائلا « ثم عدت الى شارع أرموند الكبير وبدأت العمل لاكتشف كل ماأستطيع اكتشافه عن هذا الامريكى الذى دخلت حياته بهذه الطريقة الغامضة . فكتبت الى بعض الناس فى بتسبرج ، كما كتبت لبعض الصحفيين الامريكيين .. وترددت على الاوساط الامريكية فى لندن ، غير أنى لم أستطع أن أعرف شيئا أكثر من أن مليونير من أبوين انجليزيين استوطن لندن .. ولكن فى أى مكان ؟ لم أستطع أن أحصل على اجابة لهذا السؤال .

وهكذا مر وقت طويل ، حتى كان صباح أمس حين استيقظت متأخرا حيث أننى كنت قد آويت الى فراشى فى حالة غير عادية من الاجهاد ، وكان

الشمس قد تسللت الى الغرفة ، وحينئذ اتجهت بنظرى الى الحائط لأرى الوجه كما اعتدت أن أفعل ، ثم أخذت أفرك عينى وقفزت من الفراش فى ذعر ، فلم يكن يظهر من الوجه الا أثر باهت ، بينما كان فى الليلة الماضية واضحا كعادته حتى كاد ينطق ، أما الآن فقد أصبح شبح وجه .

نهضت وقد انتابنى احساس بالدهشة والضيق ، ثم غادرت البيت كانت النسخ الاولى من الصحف المسائية قد صدرت فقرأت فى محتوياتها « اصابة مليونير أمريكى فى حادث سيارة » . لابد أنكم جميعا قرأتم هذا الحادث . اشتريت الصحيفة وقرأت فورا ماتوقعته : بينما كان مستر أرموند وول ـ مليونير بتسبرج ـ وصحبه يقومون برحلة فى سيارة من سيزيا الى بيزا صدمتهم عربة نقل وانقلبت سيارتهم ، وحالة مستر وول خطيرة .

عدت الى حجرتى والحيرة لا تزال تتملكنى وجلست على الفراش أنظر بعينين ـ تكادان لا تبصران ـ الى ذلك الوجه على الحائط ، وبينما تعلق بصرى به اذا به يختفى تماما .

علمت بعد ذلك أن مستر وول قد توفى متأثرا بجراحه وكان ذلك كما فهمت فى نفس اللحظة التى اختفى فيها الوجه » .

ثم سكت الراوى مرة ثانية .

أخذنا نردد العبارات : « شىء عجيب حقا ... شىء غير عادى » وكنا حقا نعنى مانقول .

واستطرد الرجل الغريب « أجل ، هناك ثلاثة أشياء عجيبة .. وغير عادية فى قصتى . الشىء الاول أن ينتج عن فساد الطلاء فى أحد منازل لندن شكل يكون ملامح رجل يعيش فى أمريكا ، وليس هذا فحسب ، بل ان يكون لهذا الشكل أيضا صلة بحياة هذا الرجل .

ولابد أن يمضى بعض الوقت قبل أن يستطيع العلم تفسير ذلك . والامر العجيب الثانى أن تكون هناك صلة بين اسم هذا الرجل واسم المكان الذى انطبعت عليه ملامحه بهذه الطريقة الغامضة ... اليس كذلك ؟ » .

وافقناه على ماقال وعدنا الى مناقشتنا الاولى عن الظواهر الخارقة للطبيعة وقد ازدادت حماستنا ، وفى أثناء ذلك نهض راوى القصة الغريبة واستأذن فى الانصراف .

غير انه لم يكن يصل الى الباب حتى ذكرنا أحد الجماعة ـ ويسرنى أن أذكر أنه سبانتون ـ بموضوع مناقشتنا الحماسية ، وذلك حين سأله قبل أن يغادر المكان عن ذلك الامر العجيب الثالث فى قصته الممتعة قائلا : «قلت ان هناك ثلاثة أشياء » .. أجاب وهو يفتح الباب « أوه ! الامر الثالث كدت أنسى .. ان الامر العجيب الثالث فى هذه القصة انى ألفتها منذ نصف ساعة ... مرة أخرى : « طبتم مساء » .

عندما عدنا الى وعينا أخذنا نبحث عن رد وايت الذى جاء بهذه الحية لتلدغ صدورنا .. غير انه هو أيضا كان قد اختفى !